

الدراسات والبحوث القبليست

صفحة تعنى بما تحتزنه أمهات كتب التراث
والأدب العربي الإسلامي من فحاحات أدبية
وتراثية ذات مغزى ومعنى وقيم أصيلة هادفة

أجمل الخصال في نساء العرب

أوصت أمامة بنت الحارث ابنتها ابنة عوف بن مُحَكَّم
الشيباني لما حُملت إلى دار زوجها الحارث بن عمرو
الذي زُفَّت إليه:

«أَيُّ بُنْيَةٍ! إن الوصية لو تُرِكَت لَفَضَلِ أَدَبٍ، تُرِكَتْ
لذَلِكَ مِنْكَ، وَلَكِنَّهَا تَذَكْرَةٌ لِلْغَافِلِ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ،
وَلَوْ أَنَّ إِمْرَأَةً اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ لَغَنَى أَبُوئِهَا، وَشِدَّةُ
حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا كُنْتَ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ، وَلَكِنَّ النِّسَاءَ
خُلِقْنَ لِلرِّجَالِ، وَلِهِنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ.

أَيُّ بُنْيَةٍ! إِنَّكَ فَارَقْتَ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ،
وَخَلَقْتَ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتَ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ،
وَقَرِينَ لَمْ تَأَلْفِيهِ، فَأَصْبَحَ بِمَلِكِهِ عَلَيْكَ رَقِيبًا وَمَلِيكًا،
فَكُونِي لَهُ أُمَّةً يَكُنُ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا. (١)

يَا بُنْيَةَ! اِحْمَلِي عَنِّي عَشْرَ خِصَالٍ تَكُنُ لَكَ دُخْرًا:

الصُّحْبَةَ بِالْقَنَاعَةِ، وَالْمُعَاشِرَةَ بِحَسَنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،
وَالْتَعَهْدَ لِمَوْجِعِ عَيْنِيهِ، وَالتَّفَقُّدَ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ، فَلَا تَقْعُ
عَيْنُهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ، وَلَا يَشُمَّ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبَ
رِيحٍ. وَالكَحْلُ أَحْسَنُ الْحُسْنِ، وَالْمَاءُ أَطْيَبُ الطُّيْبِ
الْمَفْقُودِ. وَالتَّعَهُدُ لَوْقَتِ طَعَامِهِ، وَالْهُدُوءُ عَنْهُ عِنْدَ
مَنَامِهِ، فَإِنَّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ، وَتَنَغِيصُ النَّوْمِ
مَغْضَبَةٌ. وَالِاحْتِفَاطُ بِبَيْتِهِ وَمَالِهِ، وَالِإِرْعَاءُ عَلَى نَفْسِهِ
وَخَشْمِهِ وَعِيَالِهِ. فَإِنَّ الِاحْتِفَاطَ بِالْمَالِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ،
وَالِإِرْعَاءُ عَلَى الْعِيَالِ وَالْحَشْمُ جَمِيلُ حُسْنِ التَّنْدِيرِ.
وَلَا تُفْشِي لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا، فَإِنَّكَ إِنْ
أَفْشَيْتَ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِي غَدْرُهُ، وَإِنْ عَصَيْتَ أَمْرَهُ
أَوْعَرْتَ صَدْرَهُ. ثُمَّ اتَّقِي، مَعَ ذَلِكَ، الْفَرَحَ إِنْ كَانَ
تَرِحًا، وَالِاِكْتِنَابَ عِنْدَهُ إِنْ كَانَ فَرِحًا، فَإِنَّ الْخِصْلَةَ
مِنَ التَّقْصِيرِ، وَالثَّانِيَةَ مِنَ التَّكْدِيرِ، وَكُونِي أَشَدَّ مَا
تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا يَكُنْ أَشَدَّ مَا يَكُونُ لَكَ إِكْرَامًا،
وَأَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةً يَكُنْ أَطْوَلَ مَا تَكُونِينَ لَهُ
مِرَافَقَةً.

وَاعْلَمِي أَنَّكَ لَا تَصِلِينَ إِلَى مَا تُحِبِّينَ حَتَّى تُؤْثِرِي
رِضَاهُ عَلَى رِضَاكَ وَهُوَ عَلَى هَوَاكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ
وَكَرِهْتَ، وَاللَّهُ يُخَيِّرُ (٢) لَكَ.

(مستوحاة من القصص العربي الصميم من نوع القصص
الإخباري)

شرح الكلمتين الصعبتين

١. الوشيك: السريع. ٢. الله يخير لك: أي جعل لك خيرًا.